الرسول
في أهل بيته

الرسول ﷺ

في أهل بيته

إنَّ لبُيوت النبيِّ ﷺ من زيارةِ جبريل عليه السلام - وهو ينزل بالوحي - أوفرَ نَصيب.

عبَّرت عن ذلك أُمُّ أيمن - رضي الله عنها -

يقول أَنَسٌ - رضي الله عنه - : « قَالَ أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه - بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ؛ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُورُهَا

فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ.

فَقَالاَ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ. مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ.

فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لاَ أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ.

فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَجَعَلاَ يَبْكِيَانِ مَعَهَا ».[1]

من المعلوم أنَّ رسولَ الله ﷺ قد تزوَّجَ "خديجةَ بنتَ خُويلد" وهو ابنُ خمسٍ وعشرين سنة، وخديجةُ يومئذ بنتُ أربعين سنة.

وقد شاء الله أن تكونَ خديجةُ - رضي الله عنها - هي التي تستقبله عندما رجع من غار "حِراء" بعد أن جاءه جبريلُ عليه السلام بالوحي من عند ربِّه، وقال: ﴿ ٱقْرَأْ ﴾.

---

(١) مسلم: كتاب فضائل الصحابة.

دخل ﷺ على خديجةَ، وقال: « زمِّلوني، زمِّلوني »

فزمَّلُوه حتى ذهبَ عنه الرَّوْعُ.

فقال: « يا خديجة، ما لي ؟ ـ وأخبرَها الخبر ـ لقد خشيتُ على نفسي »؛ لأنَّ المَلَك غَطَّهُ حتى بلغ منه الجَهدُ. ولم يكن ﷺ قد رأى جبريلَ من قبل.

فقالت له:

« كلا، والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرَّحِم، وتُقْري الضيف، وتحمل الكَلَّ [1]، وتُعين على نوائب [2] الحق ».[3]

إن خديجة ـ رضي الله عنها ـ قد عرفته من قبل، فعرفت خِلالَه وخِصاله، فأدركت ـ بفطرتها ـ أنَّ الله قد اختاره لهدايةِ قومِه.

واستوثقت حين انطلقت برسول الله ﷺ إلى ابنِ عمِّها "ورقة" وهو مِمَّن اطَّلع على كُتب الأقدمين، وله عِلمٌ بحالِ الرسل.

فسمع من رسول الله ﷺ، وأكَّد ما أدركته خديجةُ بفطرتها، وعبَّرت عنه بقولها: « والله ما يُخزيك الله أبداً... »

حيث قال ورقةُ: « هذا النَّاموسُ الذي نزَّله الله على موسى »؛ لأنه يعرف أن رسول الله إلى أنبيائه هو جبريلُ عليه السلام.

---

(١) الكلّ: العيال واليتيم، ومن لا يستقل بأمره، وحمل الكَلّ معناه: الإنفاق على العيال والضعفاء.

(٢) النَّوائِبُ: جمع نائبةٍ، وهي ما يَنُوبُ الإنسانَ أي يَنْزِلُ به من المُهِمَّات والحَوادث، ومعني الإعانة على نوائب الحق: أي الحوادث التي تكون في الحق دون الباطل.

(٣) حجة الله البالغة: ١/ ١٢٧.

بيتٌ قد هُيئَ من قبل لاستقبال هذا النبأ العظيم.

فكانت خديجةُ ـ رضي الله عنها ـ أوَّلَ من عرفت وصدَّقت، وبلَّغت ابنَ عمِّها بما عرفت..

وكانت ذات فطنةٍ حين خطبته لنفسها، وآثرته على جميع قومِها.

قالت "نفيسةُ بنت مُنْيَه": كانت خديجةُ بنتُ خويلد بن أسد بن العُزَّى بن قصي، امرأةً حازمةً شريفةً، أوسط قريش نَسَباً، وأكثرهم مالاً.

وكلٌ قومها كان حريصاً على نِكاحها، لو قَدَر على ذلك.

قد طلبوها وبذلوا لها الأموال.

فأرسلتني دَسِيساً [1] إلى محمدٍ بعد أن رجع من الشام.

فقلت: يا محمدُ، ما يمنعك أن تَتَزوَّج ؟

فقال: « ما بيدي ما أتزوَّجُ به ».

قُلتُ: فإنْ كُفيتَ ذلك، ورُعِيتَ إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة، ألاَ تُجيب ؟

قال: « فَمَن ؟ ».

قُلتُ: خديجة.

قال: « وكيف بذلك ؟ ».

قلت: عليَّ.

قال: « وأنا أفعل ».

فذهبتُ، فأخبرتُها.

---

(1) المقصود أنها ارسلتها سِرَّاً؛ لتأتي لها بالخبر.

فأرسلت إليه أن ائتِ لساعةِ كذا وكذا.

وأرسلت إلى ابنِ عمِّها "عمرو بن أسد" ليزوجها، فحضر.

ودخل رسول الله ﷺ في عمومته، فتزوَّجها وهو ابنُ خمسٍ وعشرين سَنَة، وخديجةُ - يومئذٍ - بنتُ أربعين سَنَة.

وقد حضر "أبو طالب" ومعه بنو مُضَر، فقال أبو طالب:

الحمدُ لله الذي جعلنا من ذُرية إبراهيم، وزَرْع إسماعيل، وضئضئ مَعد، وعُنصرِ مُضَر، وجعلنا حَضَنَةَ بيتِهِ، وسوَّاس حَرَمِهِ، وجعل لنا بيتاً مَحْجُوجاً، وحَرَماً آمنا، وجعلنا الحُكَّام على الناس.

ثُمَّ إنَّ ابن أخي هذا، محمد بن عبد الله، لا يوزَنُ به رجلٌ إلا رَجَح به. فإن كان في المال قُل، فإنَّ المالَ ظِلٌّ زائل، وأمرٌ حائل.

ومحمدٌ مَن قد عرفتم قرابته، وقَد خَطَب خديجةَ بنتَ خويلد، وبَذَلَ لها الصَّداق ما آجله وعاجله من مالي.

وهو بعد هذا - والله - له نبأٌ عظيم، وخطرٌ جليل.

فتزوجها رسولُ الله ﷺ.

مقدِّماتٌ تُنْبِئُ عن معرفةٍ، وكلماتٌ دالة على حقيقة خديجة.

وهي - مَن هي - تطلبه لنفسها، وتُؤثره على جميعِ مَن سواه، مع أنَّه في المال قُلْ.

وعمُّه "أبو طالب" يقول فيما قال: « إنَّ ابن أخي محمد بن عبد الله لا يوزَنُ به رجلٌ إلاَّ رجح به ».

ويقول: « وهو بعد هذا، والله لَهُ نبأٌ عظيمٌ وخَطَرٌ جليل ».

ومحمدُ بنُ عبد الله ـ يومئذٍ ـ ابنُ خمسٍ وعشرين سنة، أي قبل بَعثته بخمسةِ عَشَرَ عاماً، وخديجةُ من بعدُ ـ وقد عَرَفَتْ وأيقَنَتْ ـ تقولُ:

« والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرَّحِم، وتُقْري الضيف، وتحمل الكَلَّ، وتُعين على نوائب الحق ».

وجعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يقول للنجاشي، وقد سأله : ما هذا الدِّين الذي فارقتم فيه قومَكم ؟

فيقول جعفرُ ـ فيما قال ـ: « أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ.... ».

وأبو سفيان بن حَرْب يقولُ حين سُئِلَ من قيصرَ عن النبيِّ ﷺ: « فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟ »

قال: « لا ».

فقال الملك: « سَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لا فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ ».

وأبو سفيان يومئذٍ عدوٌّ يقودُ قومَه في حربٍ ضدَّ رسول الله ﷺ !

إجماعٌ أيُّ إجماعٍ على صِدْقِهِ وأمانتِهِ في حياتِهِ كلِّها.

فلا عَجَبَ أن تطلبه خديجةُ ـ رضي الله عنها ـ لنفسها، وأن يتكوَّن بها أوَّلُ بيتٍ لمحمد بن عبد الله قبل أن يُبعَثَ ليكونَ خَاتَمَ الأنبياء.

ولما بُعِثَ ﷺ كانت خديجةُ أوَّلَ امرأةٍ آمنتْ به.

ولم يتزوَّجْ غيرَها حتى ماتَتْ.

وجميعُ أولاده ﷺ منها، سِوَى "إبراهيم".

وقد تُوفِّيَتْ بعد أن مَضَى من النبوة عَشْرُ سنين، وهي بنتُ خمسٍ وستين سَنَة ـ رضي الله عنها ـ وأرضاها.

عَشْرُ سنين قضتها خديجةُ مع رسولِ الله ﷺ وهو نبيٌّ، وجبريلُ عليه السلام يأتيه بالوحي مُزَّمِّلاً ومُدَّثِّراً في بيتِها، يُناديه بنداء الله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ..... ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ .....﴾

وهي ترى ـ رضي الله عنها ـ كيفَ كان الرَّسُول ﷺ يقومُ الليلَ، ويتلو القرآنَ، وكيفَ صَدَعَ بما أُمِرَ به، وَأَنْذَرَ عشيرتَهُ الأقربين.

وكيف كان الأذى يَقَعُ منهم على مَنْ آمَنَ بالرسول واستجابَ لدعوتِهِ.

ولقد لقي الرسول ﷺ من الأذى والشِّدَّةِ ما لقي، خُصوصاً إذا ذَهَبَ إلى الصَّلاة عند البيت.

وكان من أعظمِهم أذىً لرسول الله ﷺ جماعةٌ تَسَمَّوا ـ لكثرةِ أَذَاهُم ـ بـ "المستهزئين"، أوَّلُهم وأشدُّهم: أبو جَهل، عمرو بن هشام، وأبو

لَهَب بن عبد المطلب، عَمُّ رسولِ الله، وعُقبة بن أبي مُعَيْط، والعاص بن وائل السَّهمي القُرشي، والدُ عمرو بن العاص، وغيرهم.

ومنهم مَن كان جَاراً لرسول الله ﷺ كأبي لَهَب، وعُقبة بن مُعَيْط.

كان "أبو لهب" يَرْمِي القَذَرَ على بابه، فكان رسول الله ﷺ يطرحه، ويقول: « يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أيُّ جِوَارٍ هذا ؟! ».

وكانت تُشارك "أبا لهبٍ" في قَبيح عَمَلِهِ زوجتُه "أُمُّ جَمِيل بنت حرب بن أُمَيَّة" فكانت كثيراً ما تَسُبُّ رسولَ الله، وتتكلَّم فيه.

وكان "عُقبة بن أبي مُعَيْط" الجارَ الثاني لرسول الله، وكان يعمل معه كأبي لَهَبٍ. ومِن أشدِّ ما صَنَعَهُ هذا الشقيُّ برسول اللهِ ﷺ ما رواه البخاريُّ في صحيحه، قال:

« بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ، حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ .... الآية ﴾[1] ».[2]

ومِن أَذِيَّتِه للرسول ﷺ ما حكاه عبدُ الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال:

« بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ

---

(1) غافر: ٢٨.

(2) البخاري: كتاب مناقب الأنصار.

جُلُوسٌ، وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلاَ جَزُورِ[1] بَنِي فُلاَنٍ، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ ؟! فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ[2] فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ.

قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ، وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالنَّبِيُّ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ.

فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلاَتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ ـ وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلاَثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلاَثًا ـ ثُمَّ قَالَ: « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ».

فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضِّحْكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ.

ثُمَّ قَالَ: « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ »

وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ.

فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّى صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ[3] قَلِيبِ بَدْرٍ ».[4]

---

(١) الْجَزُور مِنْ الإِبِلِ مَا يُجْزَرُ أَيْ يُقْطَعُ، وَالسَّلَى هِيَ: الْجِلْدَةُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْوَلَدُ.

(٢) هُوَ عُقْبَة بْن أَبِي مُعَيْطٍ.

(٣) القَلِيب: البئر التي لم تُطْوَ.

(٤) مسلم: كتاب الجهاد والسير.

والرَّسُول ﷺ يلقى ما يلقاه من أذىً في مكة، وخديجةُ - رضي الله عنها - تعلم بكُلِّ ما يُلاقيه، وهي توقِنُ - كُلَّ اليقينِ - أنَّ اللهَ ناصرُه وحَافِظَه، وهي التي قالتْ له من قَبْلُ: « والله ما يخزيك الله أبداً ».

والرسولُ ﷺ يذكرُ صَنيعَهَا، ويُثني عليها، وهو يعرفُ قَدْرَها عند ربِّها.

عن عائشةَ - رضي الله عنها - قالت:

« ما غِرْتُ على امرأةٍ ما غِرْتُ على خديجة.

ومَا بي أن أكون أدركتها، ولكن ذلك لكثرةِ ذِكْرِ رسول الله ﷺ إيَّاها.

وإن كان ليذبح الشاةَ، فيتتبَّع بذلك صدائق خديجة، يهديها لهنَّ.

وقالت: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجةَ، فيُحسن عليها الثَّناء.

فذكرها يوماً من الأيام، فأدركتني الغيرة، فقلت: هل كانت إلاَّ عجوزاً ؟

فقد أَبْدَلَكَ الله خيراً منها.

فغضب حتى اهتزَّ مُقَدَّم شَعْرِهِ من الغضب.

ثم قال: « لا - والله - ما أبدلني خيراً.

آمنت بي إذْ كَفَرَ الناس..

وصدَّقني إذ كذَّبني الناس..

وواستني بمالها إذ حرمني الناس..

ورزقني الله منها أولاداً ».

قالت عائشة: فقلت في نفسي: لا اذكرها بسبَّةٍ أبداً ».[1]

هكذا كانت خديجةُ ـ رضي الله عنها ـ..

لَهَا شَأْنُها ومكانتُها عندَ رسولِ الله..

وَلَهَا أَجْرُهَا وفضلُها عند ربِّها.

لقد جاءَهَا السَّلامُ من ربِّها وَمِن جبريل، وَهِي في بيتِها.

روى البخاريُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ:

« أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ. فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ، فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ [٢] لاَ صَخَبَ فِيهِ [٣] وَلاَ نَصَبَ [٤] ». [٥]

لقد أقامت خديجةُ ـ رضي الله عنها ـ مع رسولِ الله ﷺ أَرْبَعاً وعشرينَ، أو خمساً وعشرين سَنَة، وتُوفِّيَتْ في رمضانَ سنة عشر من النبوة، بمكَّة المكرمة.

رأينَا كيف تزوَّجها الرَّسُول ﷺ، وكيفَ عَرَفته فخطبته لنفسها.

* ثم تزوَّج الرسولُ ﷺ بعد خديجةَ "سودةَ بنتَ زمعة بن قيس بن عبد شمس"

---

(1) الوافي في الوفيات: ١/١٨٥٨.

(٢) القَصَبُ : لُؤْلؤٌ مُجَوَّف واسعٌ كالقَصْرِ المُنيف.

(٣) الصَّخَب : الصوت المرتفع.

(٤) النَّصَب : التَّعَب.

(٥) البخاري : كتاب المناقب.

كانت قبل النبيِّ ﷺ تحتَ "السَّكران بن عمرو"

أسلمتْ، ثمَّ أسلَم زوجُها؛ لترغيبها إيَّاه في الإسلام.

وهاجرتْ إلى الحبشة مع زوجها وأُمِّها.

تُوفِّيَ "السَّكرانُ" بالحبشة، فتزوَّجها رسولُ الله ﷺ سنةَ عَشْرٍ من النبوة، بعد وفاةِ خديجة؛ ليُنقذها من بُؤْسِ الترمُّلِ وشماتَةِ أهلِهَا.

كانت ابنةَ خمسين عاماً حينَ تزوَّجها الرَّسُوْل.

وبقيت معه أربعة عشر عاماً.

جعلتْ "سودةُ" يومَها لعائشةَ بعد سنواتٍ ـ رضي الله عنها ـ.

* ثُمَّ تزوَّج ﷺ عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ في شوال، سنةَ عَشْرٍ من النبوة بمكة، وبَنى بها في شوال سنة إحدى عشرة من الهجرة بالمدينة المنورة.

روى مسلم عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ أَنَّهَا قَالَتْ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلاَثَ لَيَالٍ. جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ [1] مِنْ حَرِيرٍ فَيَقُولُ هَذِهِ امْرَأَتُكَ. فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ فَأَقُولُ إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ ». [2]

وَرَدَ في فضلِها أحاديثُ كثيرةٍ، منها.

ما رواه البخاريُّ، عن أُمِّ سلمةَ ـ رضي الله عنها ـ قال النبي ﷺ:

« وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا ». [3]

---

(1) السَّرَقَةُ: القطعة من الحرير الجيِّد.

(2) مسلم: كتاب فضائل الصحابة.

(3) البخاري: كتاب فضائل الصحابة.

وقد أَمَرَ النبيُّ ﷺ فاطمةَ ـ رضي الله عنها ـ بأن تُحِبَّ عائشةَ.

ففي صحيح مسلم أن النبيَّ ﷺ قال لفاطمة: « أَيْ بُنَيَّةُ، أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ ؟ » فَقَالَتْ: بَلَى. قَالَ: فَأَحِبِّي هَذِهِ ».[1]

وَيَدُلُّ على فَضْلِ عائشة ـ رضي الله عنها ـ ما وَرَدَ في الصحيحين أنَّ النبي ﷺ قال لها: « يَا عَائِشَةُ، هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ. فَقَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ».[2]

* ثُمَّ تَزَوَّجَ ﷺ حفصةَ بنتَ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنها ـ

تزوَّجها الرَّسُول ﷺ في شعبان سنة ثلاث من الهجرة.

وكانت قبل رسول الله ﷺ تَحْتَ "خُنيس بن حذافة بن قيس"، وكان ممن تقدَّموا في الإسلام، هاجر هجرتين إلى المدينة، وشَهِدَ بدراً وأُحداً، وأُصيب في غزوة أُحُد، فتُوفِّي بالمدينة.

ولَمَّا تَأَيَّمَتْ حفصةُ ذَكَرَهَا عمرُ لأبي بكر، وعَرَضَهَا عليه، فلم يرجع أبو بكر بكلمة، فغضب من ذلك عُمر.

ثُمَّ ذَكَرَهَا لعثمان ـ حين ماتت رُقَيَّةُ بنتُ رسول الله ﷺ ـ فقال عثمانُ: مَا أُريدُ أن أتزوَّجُ اليومَ.

فانطلق عمرُ إلى رسول الله ﷺ، فَشَكَا عثمانَ، وأخبره بِعَرْضِهِ عليه، فقال رسولُ الله ﷺ: « يتزوَّجُ حفصةَ مَنْ هُو خَيْرٌ من عثمان، ويتزوَّجُ عثمانُ مَن هي خَيْرٌ من حفصة ».

---

(1) مسلم: كتاب فضائل الصحابة.

(2) البخاري: كتاب بدء الخلق.

ثم خطبها إلى عمر، فتزوَّجها رسولُ الله ﷺ.

فلقي أبو بكر عمرَ، فقال له: « لا تجد عَليَّ في نفسك؛ فإنَّ رسولَ الله كان ذَكَرَ حفصةَ، فلم أَكُنْ لأُفشيَ سِرَّ رسولِ الله ﷺ، ولو تركَهَا لتزوجتُها ».

أتَى عليها جبريلُ عليه السلام فقال: « يا محمدُ، راجعْ حفصةَ؛ فإنها صَوَّامَةُ قَوَّامَةُ، وإنها زوجتُك في الجنة ».[1]

* وفي سنة ثلاث من الهجرة تزوَّجَ الرَّسُول ﷺ "زينبَ بنتَ خُزيمة" رضي الله عنها، وكانت تُدْعَى "أُمّ المساكين" في الجاهلية.

تزوَّجَها أوَّلاً "طفيل" ثم تزوَّجها "عُبيدةُ" وهُما ابنا الحارث بن عبد المطلب، عَمِّ النبي ﷺ، ثم تزوَّجها "عبدُ الله بن جحش" ابن عمَّة النبي ﷺ وأخو زينب بنت جحش أُمِّ المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ

فلما استُشهِدَ عبدُ الله بن جحش في غزوة "أُحُد" تزوَّجها النبيُّ ﷺ.

وعاشت ـ بعد النكاح ـ شهرين أو ثلاثة أشهر، وهي أخت "ميمونة" لأُمها.

* ثُمَّ تزوَّج النبيُّ ﷺ أُمَّ سلمة، هند ـ رضي الله عنها ـ سنةَ أربع من الهجرة، وكانت ـ قبل النبي ﷺ ـ عند "أبي سلمة بن عبد الأسد".

وهي مِمَّن أَسْلَمَ قديماً، وأسلم أبو سلمة بعد عشرة من الرجال. وكانت أُمُّهُ "برَّة بنت عبد المطلب" عمَّة رسول الله ﷺ.

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك ١٦/٤، وقال الطبراني في الأوسط: لم يرو هذا الحديث عن شعبة إلا يحيى بن بكير، تفرد به موسى بن أبي سهل.

ورسول الله ﷺ وحمزة وأبو سلمة، كُلُّهم إخوة من الرضاعة.

هاجرت مع زوجها إلى الحبشة، ثم عادا إلى مكة.

ولما أراد أبو سلمة وأُمُّ سلمة الهجرةَ إلى المدينة مع ولدهما "سلمة" انتزع أهلُ أبي سلمة من أبي سلمة ولدَه، وقالوا: "اذهب أنت وحدَك، ولا حق لك من الابن شيء؛ فإنه منَّا".

وكان أبو سلمةَ رجلاً قويَّ الإسلام، راسخَ العَزْم، فأبَى إلاَّ أن يهاجر إلى المدينة المنورة، فأخذ سبيله إلى الله ورسوله.

وبقيتْ أُمُّ سلمه في مكة، وكانت تخرج كُلَّ غَداةٍ، وتجلس بالمكان الذي كانت فارقتْ به زوجَها، وما زالت تبكي طوال السَّنة.

ثم خرجت أُمُّ سلمة مهاجرة إلى المدينة، وخرج معها "عثمانُ بن أبي طلحة" وكان - يومئذ - كافراً، فكان ينزل بناحية منها إذا نزلتْ، ويسيرُ معها إذا سارتْ، ويُرحِّل بعيرَها، وينتحى إذا ركبتْ.

فلمَّا نظر إلى نخل المدينة قال لها: "هذه الأرض التي تُريدينَ" ثم سلَّم عليها وانصرف.

شَهِدَ أبو سلمة "بدراً" وجُرِحَ يوم "أُحُد" جُرْحاً انْدَمَلَ ثم انتقض، فمات منه. وكان يقول: "اللهم اخلفني في أهلي بخير" وقد خَلَّفَ وراءه أطفالاً صغاراً.

ثم تزوَّج رسولُ الله ﷺ أُمَّ سلمة؛ لِحُبِّهِ لأبي سلمة، الذي التزم الصِّدْقَ والاستقامةَ في سبيل الإسلام.

وقد تحمَّلت أُمُّ سلمة الشدائدَ في سبيل الهجرتين، إلى الحبشة وإلى

المدينة.

وكان عمر وسلمة وزينب ودرّة رَبيبَ رسول الله ﷺ، ترعرعوا تحت رعايته.

* ثم تزوَّج ﷺ زينبَ بنت جحش، سنة خمس من الهجرة.

وهي زينبُ بنتُ جحش، وأُمُّها "أميمة بنت عبد المطلب" عَمَّةُ رسول الله ﷺ.

كانت قبل النبي ﷺ تحت "زيد بن حارثة" الذي ينتهي نسبه إلى "قُضاعة" ونسبُ أُمِّه إلى "معن بن طي".

احتمله قوم في الجاهلية وهو - يومئذ - غلام، فوافوا به سوق "عكاظ" فعرضوه للبيع، فاشتراه منهم "حكيم بن حزام" لعمَّته "خديجة"، فلمَّا تزوَّجها رسولُ الله ﷺ وهبته له، فقبضه رسولُ الله ﷺ.

فخرج والدُه وعمُّه، حارثة وكعب ابنا شرحبيل بفدائه، وقدما مكة، فسألا عن النبي ﷺ، فدخلا عليه، وقالا له: "جئناك في ابننا عندك، فامنُنْ علينا، وأحسن إلينا في فدائه"

لكنَّ "زيدَ بن حارثة" أَبَى أن يذهب مع أبيه، واختار البقاء مع رسول الله

وكان زيد يُدعَى "ابن محمد"؛ لِحُبِّ رسول الله له.

تزوَّج زيدٌ زينبَ بنت جحش، وكان لزواجها وطلاقها من زيد آيات وأحكام، أصلح الله بها عاداتٍ كانت شائعة ببركة زواجها من رسول الله بأمر الله.

وكانت تفخر بذلك، وتقول: « أنا التي زوَّجني ربي ».

نعم، هي التي زوَّجها ربُّها، وأنزل في شأنها آياتٍ تُتْلَى وأحكاماً....

* ثم تزوَّج رسولُ الله ﷺ جويرةَ بنت الحارث بن ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة. وجُذيمة هو المصطلق بن خزاعة.

سَبَاهَا رسولُ الله ﷺ يوم "المريسيع" في سنة خمس من الهجرة.

عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ:

وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُصْطَلِقِ فِى سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، أَوِ ابْنِ عَمٍّ لَهُ، فَكَاتَبَتْ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتِ امْرَأَةً مَلاَّحَةً تَأْخُذُهَا الْعَيْنُ.

قَالَتْ: فَجَاءَتْ تَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِى كِتَابَتِهَا، فَلَمَّا قَامَتْ عَلَى الْبَابِ فَرَأَيْتُهَا كَرِهْتُ مَكَانَهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَيَرَى مِنْهَا مِثْلَ الَّذِى رَأَيْتُ

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ أَمْرِى مَا لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ، وَإِنِّي وَقَعْتُ فِى سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَإِنِّي كَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْأَلُكَ فِى كِتَابَتِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَهَلْ لَكِ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ؟ »

قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

قَالَ: « أُؤَدِّى عَنْكِ كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ ».

قَالَتْ: قَدْ فَعَلْتُ.

قَالَتْ عائشةُ: فَتَسَامَعَ ـ تَعْنِي النَّاسَ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ، فَأَرْسَلُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبْيِ فَأَعْتَقُوهُمْ، وَقَالُوا : أَصْهَارُ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَمَا رَأَيْنَا امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا، أُعْتِقَ فِي سَبَبِهَا مِائَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ».[1]

وكانت جويرةُ عابدةً زاهدةً.

عَنْ جُوَيْرِيَةَ - رضي الله عنها - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: « مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا ؟ »

قَالَتْ: نَعَمْ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ ».[2]

تزوَّجها الرَّسُول ﷺ سنة خمس من الهجرة.

* ثم تزوَّج ﷺ أُمَّ حبيبة، رَمْلَةَ بنت أبي سفيان بن حرب، سنة ست من الهجرة.

أسلمت قديماً، وكانت - أوَّلاً - عند "عبيد الله بن جحش"

وكان قد هاجر إلى أرض الحبشة مسلماً، ثم تنصر هناك !

وبقيت أُمُّ حبيبة مسلمة بأرض الحبشة، تركت أباها وعشيرتها ووطنها في سبيل الإسلام.

---

(1) ابو داود: كتاب العتق.

(2) مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة.

وكان زوجُها معها في الهجرة، ولكنه ارتد، فلم يكن لها أحد، ولما بلغ رسول الله أرسل "عمرو بن أمية الفهري" إلى "النجاشي" بأن يبلغ أُمَّ حبيبة خِطبة النبي ﷺ.

فأرسل إليها النجاشيُّ جاريةً له، كانت تقوم على ثيابه ودهنه، وكانت أُمُّ حبيبة قد رأت في المنام أن أحداً يُناديها بـ « أُمِّ المؤمنين ».

ولما سمعت خبرَ رسول الله ﷺ شكرت الله، وأعطت الجارية سوارين من فضة كانتا عليها، وخواتيم من فضة في أصابعها؛ سروراً بما بُشِّرت به.

ثم أمر النجاشيُّ بحضور "جعفر بن أبي طالب" ومَن معه من المسلمين.

وخطب النجاشيُّ فقال:

"الحمد لله، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر. أشهد أن إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأنَّه الذي بُشر به عيسى بن مريم. أمَّا بعد، فإن رسول الله كتب إليَّ أن. أزوجه أُمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبتُ ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وقد أصدقتها أربع مائة دينار " ثم سكب الدنانير بين يدي القوم.

فتكلم "خالد بن سعيد" فقال:

"الحمد لله أحمده وأستعينه، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهُدى ودين الحقِّ؛ ليُظهره على الدين كُلِّه ولو كره المشركون، أما بعد، فقد أجبتُ إلى ما دعا إليه رسولُ الله ﷺ،

وزوَّجتُه أُمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسوله ﷺ".

ودفع النجاشيُّ الدنانيرَ لخالد بن سعيد، فقبضها، ثم أرادوا أن يقوما فقال: "اجلسوا؛ فإن سُنَّة الأنبياء إذا تزوَّجوا أن يُؤكَلَ طعامٌ على التزويج" فدعا بطعامٍ فأكلوا ثم تفرقوا.

وكانت أُمُّ حبيبة طيبةَ النَّفْسِ، حميدة الصفات، وكانت جوادة شجاعة.

روى ابنُ اسحاق أن أبا سفيان لما قَدِمَ المدينة دخل على ابنته أُمِّ حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طَوَتْهُ عنه.

فقال: يا بُنيَّة، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش؟ أم رغبت به عني؟

قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ!

فقال: والله لقد أصابكِ يا بُنيَّة بعدي شَر.

قالت عائشةُ ـ رضي الله عنها ـ: دعتني أُمُّ حبيبة عند موتها، فقالت: « قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك »

فقلتُ: « غفر الله لك ذلك كله، وتجاوز، وحلَّك من ذلك كله ».

فقالت: « سررتني، سَرَّكِ الله ».

وأرسلت إلى أُمِّ سلمة، وقالت لها مثلَ ذلك.

* ثم تزوَّج النبيُّ ﷺ صفيةَ ـ رضي الله عنها ـ سنة سبع من الهجرة.

وهي صفية بنت حيي بن أخطب بن شعبة بن ثعلبة، من بني اسرائيل

من سبط هارون بن عمران.

وأُمُّها "بره بنت سَمَوأل" كانت ـ أوَّلاً ـ عند "سلام بن مشكم" ثم خلف عليها "كنانة بن الحقيق" فقُتِلَ يومَ خيبر.

وكانت "صفيةُ" من سَبَايَا خيبر، اصطفاها الرسولُ ﷺ لنفسه، فأسلمت وأعتقها، وجعل عتقها صداقها.

ويُروى أنَّ رسول الله ﷺ دخل على صفية وهي تبكي فقال لها: « ما يُبكيك ؟ ».

قالت: بلغني أن عائشة وحفصة تنالان مني، وتقولان: نحن خير من صفية، نحن بنات عمِّ رسول الله وأزواجه ».

قال ﷺ: « ألا قلتِ لهُنَّ: كيف تكنَّ خيراً مني، وأبي هارون، وعمِّي موسى، وزوجي محمد ؟! »

صلَّى اللهُ على سيِّدنا محمد، وعلى هَارونَ وموسى، ورُسُلِ الله جميعاً.

ورُوى أنَّ النبي ﷺ خيَّرها بين أن يعتقها فترجع إلى مَن بقي من أهلها، أو تسلم فيتخذها لنفسه، فقالت: « أختار الله ورسولَه ».

* ثم تزوَّج النبيُّ ﷺ ميمونةَ بنت الحارث، سنة سبع من الهجرة.

وهي ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن الهرم. كانت قبل النبي ﷺ تحت "أبي رهم بن عبد العُزَّى".

وكانت قبل "أبي رهم" عند "حويطب بن عبد العزَّى"

وكانت قد تَأَيَّمَتْ حين خرج النبيُّ ﷺ معتمراً سنة سبع، فذكرها

العباسُ لرسول الله، فتزوجها النبيُّ ﷺ.

وهي أختُ "لبابة" والدة ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ لأبيها وأمها.

وأخت "زينب بنت خزيمة" لأُمِّها، التي تزوجت رسول الله ﷺ سنة ثلاث من الهجرة، وأقامت عنده ثلاثة أشهر، ثم تُوفِّيت من عامِها هذا.

* * *

تلك بُيُوتُ النبي ﷺ التي ارتبطت بها أحكام، ونزل فيها قرآن.

وخوطبت نساءُ النبي ﷺ بما خُوطِبْنَ به من آيات الله والحكمة.

وخُيِّرْنَ، فَاخْتَرْنَ فَكُنَّ ـ بما اخْتَرْنَ ـ أُمهات المؤمنين.

وكان لاختيارهنَّ شأنٌ ـ أي شأن ـ في طُهر البيوت واستقامتها؛ حيث اخْتَرْنَ الله ورسوله والدار الآخرة.

وكُنَّ ـ بما اخْتَرْنَ ـ أسوة حسنة لبناتِهنَّ إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

* * *